Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

Makale Geliş Tarihi: 28.02.2020
Makale Kabul Tarihi: 01.06.2020

تَأكِيدُ المَدْحِ بِمَا يُشبِهُ الذَّمَّ وتَأكِيدُ الذَّمِّ بِما يُشبهُ المَدْحَ

(دِرَاسَةٌ وتَطبِيقٌ)

Alaa Aldeen AL KARAZ* / د. علاء الدين الكرز

الملخص:

تهدف الدراسة إلى الوقوف على أساليب النظم القرآني، وفنونه البلاغية، وجمالياتها، ودلالاتها البلاغية من خلال توضيح الأسلوب البديعي (تأكيد المدح بما يشبه الذم) و(تأكيد الذم بما يشبه المدح) من جانبين: الأول: نظري يوضح المعنى الاصطلاحي للأسلوبين، والثاني تطبيقي يحاول تحليل بعض الأنموذجات القرآنية.

الكلمات المفتاحيّة: تأكيد – مدح – ذم – يشبه.

*Dr. Öğr.Üyesi, KTO Karatay Üniversitesi Arapça Mütercim Tercümanlık Bölümü, Konya, alaa.alkaraz@gmail.com, ORCID, 0000-0003-0475-8911.

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh

(Birini yeriyormuş görünerek övmek ve birini övüyormuş gibi görünerek yermek)

(Araştırma ve uygulama)

Öz

Araştırma, Kur'an'ın nazmının (ifade edilişinin) üsluplarını, ondaki belagat sanatlarını ve üslupların güzelliklerini, Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh adlı bedi' sanatlarının üslubunu iki yönden açıklayarak, onların belagat yönünden delaletlerini tanıma amacındadır.
İki yönden biri teoriktir, yani iki üslubun terim manalarını açıklamaktadır. Diğeri de uygulamayla ilgilidir ki Kur'an'daki bazı örnekleri tahlil etmeye çalışmaktadır.

Anahtar Kelimeler: Te'kîd – medh – zem – yuşbihu

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

To praise someone pretending to be vilifying him, and to vilify someone pretending to be praising (Research and application)

Abstract

The research aims to recognize the signs of rhetoric in terms of eloquence and the signification of the styles of the verse (expression) of the Qur'an, its eloquence arts and beauties of styles, by explaining the style of the bedi arts "Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem and te'kîdu'z-zem bimâ yushbihu'l-medh" in two way .
One of the two aspects is theoretical, that is, it describes the term meanings of the two styles. The other one is related to the application that it tries to analyze some examples in the Qur'an.

Keywords: Te'kîd - medh - zem - yuşbihu

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

مقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصّلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إنّ علم البلاغة من العلوم التي تكشفُ عن إعجازِ القرآن الكريمِ وعن أسرار البيان فيه ولا عجبَ في ذلك فالقرآن معجزة الرّسول الشاهدة على صدقِ رسالته جاء باللغةِ العربيّة فأعجز العربَ ببيانه وبَهرهم ببلاغَتِهِ.

وإنّ علمَ البلاغةِ في اللّسان العربي مِنْ أفضل العلوم والفنون قدراً وأنفعها، وأكرمها ذكراً وأكثرها شرفاً وفخراً، وأعظمها ادّخاراً وذخراً، إذ به تعرف وجوه إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به سبحانه من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما اشتملَ عليه منْ عذوبة وجزالة وسهولة.

وقد وضعت هذا البحث المتواضع، حاولتُ فيه توضيح الأسلوب البديعي تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح من جانبين: أولها نظري يوضح المعنى الاصطلاحي للأسلوبين. وثانيها تطبيقي يحاول تحليل بعض الأنموذجات القرآنية.

وقد كان المنهج في هذا البحث تقصّي مفهوم الأسلوب ومناقشة بعض آيات القرآن الكريم كأنموذجات لهذا الأسلوب مناقشة تطبيقية، راجياً من الله التوفيق والسّداد.

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

خطّة البحث:

المقدّمة

المبحث الأول: تأكيد المدح بما يشبه الذَّم.

المبحث الثاني: تأكيد الذم بما يشبه المدح.

المبحث الثالث: بلاغة هذين الأسلوبين.

المبحث الرابع: تحليل أنموذجات قرآنية.

خاتمة.

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

تأكيد المدح بما يشبه الذَّم:

هو من ابتكار عبد الله بن المعتز (ت 296هـ) واصطلاحه، ويجعله أبو هلال العسكري (ت 395هـ) ضرباً من أضرب البديع يسميه الاستثناء، وكذلك فعل ابن رشيق القيرواني(ت 456هـ). (ابن المعتز، 2012، 38/1)، و(أبو هلال العسكري، 1999،408)، و(ابن رشيق، 1981، 42/2).

وهو أن يأتي المتكلِّم بكلام يتضمَّنُ مَدْحاً، أو ذمّاً، أو إثباتَ صفةٍ أو حَدَثٍ، أو نَفيَ صِفَةٍ، أو حدَث، ويُتْبعَهُ بكلاَمٍ يَبْدَؤُه بما يُشْعِرُ باستثناءٍ أو استدراكٍ على كلامه السابق فإذا بِهِ يأتي بما يتضَمَّنُ تأكيد كلامه السابق.

وهذا فنٌّ بديع في الكلام له حركة في النَّفس تُشبِهُ الجزرَ فالمدَّ السّريع الأقوى من الجَزر. (حبنّكة، 1996، 2/ 392).

فهو أسلوبٌ يقوم على مفاجأة السامع بصفةٍ من صفات المدح، حيث كان يتوقع صفة ذم وذلك باستخدام أداة من أدوات الاستثناء أو الاستدراك. (جامعة المدينة العالمية، ص417).

وهذا ينبه السامع إلى الاهتمام بما يقوله، وينشط ذهنه لاستقبال المعاني التي يضمنها مدحه.

إنَّ سبب تسمية هذا الأسلوب – بتشبيه المدح بما يُشبه الذم وضدّه– يكمنُ في أنَّ هذا الأسلوب أَلِفَ النَّاس سماعَه في الذم؛ لأنَّ المتكلم عندما يذكر صفة ذم منفية أو صفة مدح مثبتة ثم يعقب بأداة استثناء أو استدراك، يتوقع السامع أنّ المستثنى أو المستدرك سيكون ذمًّا؛ لأنَّ هذا ما قد أَلِفَه، ولكن المتكلم يعدل عن ذكر ما قد أَلِفَ إلى ذكر صفة مدح يؤكد بها المدح الأول، ولهذا سُمي الأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم. ومثله يقال في تأكيد الذم بما يشبه المدح. (ابن المعتز، 2012، 418/1).

تحدث ابن المعتز عن محاسن الكلام في تأكيد المدح بما يشبه الذم ولم يشر الى تأكيد الذم بما يشبه المدح ونَكَّرَ المدح فقال في كتاب (البديع): "ومنها تأكيدُ مَدحٍ بما يشبه الذم". (ابن المعتز، 2012، 38/1).

ثم أطلقَ أبو علي الحَاتمي(388هـ) عليه استثناء لأنّ الاستثناء يمثل ركيزته الأساسية فقال: «وأحسب أنّ أول من بدأ به النابغة فأحسن كلّ الإحسان في قوله : «ولا عيب... ». (ابن المظفر الحاتمي، 1979، 1/ 162). وتبعه على هذا المصطلح جماعة من العلماء.

وسمي أيضاً تأكيد المدح بما يوهم الذم، وربما كان ذلك مأخوذًا من ابن فارس (ت 395هـ) الذي عقد بابًا في كتابه (الصاحبي) أسماه: "باب إخراجهم الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك، يقولون: "فلانٌ كريم غير أنَّه شريف" و"كريم غير أنَّ له حَسَباً" وهو شيء تنفَرِدُ فيه العرب". (ابن فارس القزويني، 1997، ص206)، وتبعه أبو العباس الجُرجاني(ت 471هـ)، وبعضهم سمَّاه: ذكر المدح في معرض الذَّم. (جامعة المدينة العالمية، ص418).

تأكيد المدح بما يشبه الذم: نوعان:

الأول: أن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء، صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقول أبي هلال العسكري:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنّ ذوي النَّدى ... خِسَاسٌ إذا قيسوا بهم ولِئامُ

(أبو هلال العسكري، 1999، 408). في هذا البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم، فإنَّه استثنى من صفة ذم منفية، صفة مدح. (الهاشمي، 1999، ص 323).

الثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح، ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء. تليها صفة مدح أخرى (والنوع الأول أبلغ) كقول النابغة الجعدي:

فتىً كَمَلَتْ أخلاقُه غير أنُه ... جوادٌ فما يُبقي من المال باقيا

(الجعدي، 1964، 173).

وقد تقوم (لكن) مقام أداة الاستثناء في هذا النوع. (الهاشمي،1999، ص 313).

أمثلة:

المثال الأول: قول الله عزَّ وجلَّ بشأن الجنة وما فيها من نعيم لأهلها:

{لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً} [سورة الواقعة: 25 – 26].

إنّ الاستثناء بعبارة {**إِلاَّ قِيلاً**} يُشْعِرُ بأنّ نفي اللّغو والتأثيم السابق سيأتي إثباتُ بعضِ ما هو ضدّه، فإذا بالمستثنى يؤكّد الفكرة السابقة، وهي أنّهم لا يَسمَعُونَ فيها لَغْواً ولاَ تأثِيماً، لأنَّ عبارات السَّلام التي يسْمَعُها أهْلُ الجنّة ليست من اللّغو ولا من التَّأثيم، الّذي هو الشَّتيمة بارتكاب الإثم، بل هي تكريم ودعاء وتحيَّة. (حبنّكة، 1996، 2/ 392).

المثال الثاني: قول الله عزَّ وجلَّ خطاباً لرسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{**طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ القرآن لتشقى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يخشى**} [سورة طه: 1 – 3] .

جملة: {**مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ القرآن لتشقى**} أي: ما أنزلْنَا عَلَيْك القرآن لتُتعِبَ قلبَكَ ونفسَك بتَحَمُّل أعباء تحويل الناس من الكفر إلى الإيمان، بل لتبلّغهم وتذكّرهم، وتريح قلبك ونَفسَك بأنَّك أدّيتَ واجبك.

وجاءت بعدها كلمة [إلاَّ] تشعر بأنّه سَيَليها مستثنىً يُحمّلُه تكليفاً فيه بعض شقاءٍ له، فإذا بالمستثنى يتضمّن تأكيد الفكرة التي جاءت في الجملة السابقة لأداة الاستثناء. (حبنّكة، 1996، 2/ 392).

المثال الثالث: قول الله عزَّ وجلَّ بشأن الكافر المسُوق إلى عذاب ربّه:

{**فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صلى * ولكن كَذَّبَ وتولى**} [سورة القيامة: 31 – 32].

قد تُشْعر كلمة [**لَكِنْ**] في الوهلة الأولى بأنّه فعل شيئاً من الخير استدراكاً على كونه كذّب بالرسول ولم يُصَلِّ للهِ عزَّ وجلَّ، فإذا بالمستَدْرَكِ به يتضَمَّن تأكيد ما جاء قبلَه، فقد كذّب الرّسول وكذّب بما جاء به، وتولَّى مُدْبراً فلم يُصَلِّ ولم يَعْبُد ربَّه بعبادةٍ ما. (حبنّكة، 1996، 2/ 392).

المثال الرابع: قول النابغة الذّبياني يمدح ملوك غسَّان:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ

(الذبياني، 1968، ص60). (فُلُول: جَمْعُ "فَلّ" وهو ثَلْمٌ يُصِيبُ حدّ السّيف من الضرب الشَّدِيدِ به. مِنْ قراع الكتائب: القِرَاع: التقاتل ضرباً بالسّيوف والرماح، والكتائب: الجيوش المحاربة).

في البيت ما يسميه البلاغيون، المدح بما يشبه الذم. والشاهد في البيت نصب «**غير**» على الاستثناء المنقطع.

إنّ تثلُّم سيوفهم من قراع الكتائب يتضمّن مدحاً لهم بالشجاعة والإقدام، فهو ليس من العيوب، بل هو من المناقب، فذِكره على أنّه هو العيب الوحيد لهم يؤكّد الثناء عليهم أبلغ تأكيد.

المثال الخامس: قول بديع الزمان الهمذاني يمدحُ خلف بن أحمد السَّجسْتاني الصَّفار، أمير سجستان وكرمان:

هُوَ البَدْرُ إلاَ أنَّهُ البَحرُ زاخِراً ... سِوَى أنَّه الضِّرغامُ لكنَّهُ الوَبْلُ

البيت بلا نسبة في مفتاح العلوم. (السَّكاكي، 1987، ص 227).

(زاخراً: ممتلئاً طامياً. الضرغام: الأسد. الوَبْل: المطر الشديد).

فقد أكدّ المدح بأسلوب يُوهِمُ عند البدء به أنّه يريد أن يذكر له عيباً بعد أن شبّهه بالبدر.

المثال السادس: قول ابن الرومي في المديح:

لَيسَ له عَيْبٌ سِوَى أنّه ... لا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شبهِهِ

(ابن رشيق، 1981، 49/2).

المثال السابع: رُوي عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال:

"**أَنَا أفْصَحُ الْعَرَب، بَيْدَ أنِّي من قُرَيشٍ**".

فكونُه من قريش يؤكّد أنّه صلوات الله عليه أفصح العرب.

هذا الحديث لا أصل له. (العجلوني، 2000) وإنما ذُكر الحديث في كتب الأدب واللغة كما في زهر الآداب وثمر الألباب (القيرواني، 59/1).

المثال الثامن: قول المعرّي:

تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةً ... وَلاَ ذَنْبَ لِي إلاَّ العُلاَ والفَضَائِلُ

(المستعصمي ، 2015 ، 372).

المثال التاسع: قول صفي الدّين الحلّي:

لاَ عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أنَّ النَّزِيلَ بِهِمْ .. يَسْلُو عَنْ الأَهْلِ والأَوْطَانِ والْحَشَمِ

(حَشَمُ الرَّجُل: خاصَّتُه الّذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه ويدخل فيهم الأهل والعبيد والجِيرَة). أي أنهم مبرؤون من العيوب، غير أنهم يكرمون نزيلهم حتى يسلوا أهله، ووطنه، وحشمه، وتلك صفة مدح لا صفة ذم فتأكد بهذا مدحهم وبلغت العبارة أسمى درجات البلاغة. (الجرجاني، 1981، 229/1).

المثال العاشر: قول الله عزَّ وجلَّ بشأن المنافقين:

{ ... **وَمَا نقموا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ** ... } [سورة التوبة الآية: 74] .

من شأن الإغناء أن يكون سبب حُبّهم والباعث على طاعتهم، لا أن يكون سبب نقمتهم، فجاء ما بعد الاستثناء مؤكِّداً عدَمَ وجود سبب لنقمتهم. (حبنّكة، 1996، 2/ 394).

المثال الثاني عشر: قول الله عزَّ وجلَّ في سورة الحج:

{**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ الله على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الذين أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا الله** ... } [الآيات: 29 – 30].

جاءَ ما بَعْدَ الاستثناء مؤكّداً أَنَّهم أُخْرِجوا من ديارِهِم بغَيْرِ حَقٍّ، لأنّ قولَهُم: {**رَبُّنَا الله**} لا يُعطي الكافرين أيَّ حَقٍّ في إخراجِهم من دِيارِهم. (حبنّكة، 1996، 2/ 394).

المثال الثالث عشر: قول الشاعر في مدح بني أُمَيَّة:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلاَّ ... أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ وَلاَ ... يَصْلُحُ إِلاَّ عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

البيتان في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات. (الرقيات، 1995، ص73).

تأكيد الذم بما يشبه المدح

تأكيد الذّم بما يُشبه المدح: ضربان أيضاً

الأول: أن يُستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء، صفة ذم بتقدير دخولها فيها مثل قول الله تعالى: {**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا**} (النبأ: 24، 25) فما قبل "إلا" نفي لذوق البرد والشراب، وما بعدها إثبات لذوق الحميم والغَسَّاق، وكلاهما ذم. ومنه قوله تعالى: {**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ *وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ**} (الحاقة: 35، 36) فما قبل "إلا"

نفي لوجود الصديق الحميم والطعام الطيب، وما بعدها إثبات لوجود الطعام الخبيث {**غِسْلِينٍ**}، وكلاهما ذم. (جامعة المدينة العالمية، ص434).

وكقول الشاعر:

خلا من الفضلِ غير أنِّي أراه في الحمق لا يُجارى

فقد نفى عنه الفضل بقوله: "خلا" هذا أوَّلاً، ثم استثنَى من ذلك رؤيتَه له منغمساً في الحمق لا يجاريه أحد في الحماقة (جامعة المدينة العالمية، ص434).

ونحو: لا فضلَ للقوم إلا أنَّهم لا يعرفون للجار حقَّه.

ونحو: الجاهل عدوّ نفسه إلا أنّه صديق السُّفهاء، ونحو: فلان ليس أهلاً للمعروف، إلا أنّه يُسيءُ إلى مَن يحسنُ إليهِ.

الثاني: أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء

تليها صفة ذم أخرى، نحو: فلان حسودٌ إلا أنّه نمّام، وكقوله: هو الكلبُ إلاّ أنّ فيه مَلالةً وسُوء مُرَاعاة وما ذاك في الكلب، وكقوله: لئيم الطباع سوى أنّه جبانٌ يهون عليه الهوان. (الهاشمي، 1999، ص313).

وكقوله تعالى: {**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا** } [سورة نوح: 5- 6]. فقد ذكر الفرار المستمر من قبل قوم نوح – عليه السلام من التوحيد وأتبع ذلك قوله – تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام – {**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا**}، فهذا استتباع ونتيجة لما جاء في المعنى الأول وهو فرار قوم نوح عليه السلام من دعوته وقد قال ابن عاشور: واستثناء الفرار من عموم الزيادات استثناء منقطع، والتقدير: فلم يزدهم دعائي قربا من الهدى لكن زادهم فرارا ... ولما كان فرارهم من التوحيد ثابتا لهم من قبل كان قوله: {**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا**} [سورة نوح: 6]. من تأكيد الشيء بما يشبه ضده.(ابن عاشور، 1984،29/180).

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

بلاغة هذين الأسلوبين:

إنَّ بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم أو الذم بما يشبه المدح يرجع إلى أمرين؛ الأمر الأول: أن كلّاً منهما بمثابة الدَّعوى التي أُقِيمَ عليها الدليل والبرهان، وذلك أنّ المتكلم يستدل على نفي الذَّم أو المدح في الضَّرب الأول من كلّ أسلوب، وعلى إثباتهما في الضرب الثاني، يستدلّ على ذلك بالتَّعليق على ما لا يكون وما لا يتحقق له وجود بحال من الأحوال. فعندما نقول مثلًا: لا عيب فيكَ سوى أنَّكَ شجاع، فإنَّنا نستدلُّ على نفي العيب عنكَ بكونكَ شجاعاً، والمعنى: لا عيب فيك سوى الشجاعة إن كانت الشجاعةُ عيبًا، وكون الشجاعة عيباً محال، فثبوت العيب لكَ محالٌ. وعندما نقول:

فتى كمُلتْ أخلاقه ... سوى أنَّه كريم

فإننا نستدل على كمال أخلاقه بكونه كريمًا، والمعنى: لقد كمُلتْ أخلاقُه إلا من شيء واحد، وهو الكرم، إن كان الكرم ينقص من كمال الأخلاق، وكون الكرم ينقص من كمال الأخلاق محال، فيثبت بهذا أنَّه متصف بكمال الأخلاق. وكذا يُقال في تأكيد الذم بما يشبه المدح، وما من ريبٍ في أنَّ إثبات الشيء بالدليل والبرهان يكون آكدَ وأبلغَ من إثباته مجرداً عن الدليل.

الأمر الثاني: ما فيهما من المفاجأة والمباغتة للسامع؛ فإنَّ المتكلم عندما ينطق بأداة الاستثناء أو الاستدراك، يتوقع السامع ويدور في خَلَده أنَّ المستثنى أو المستدرك فيكون مغايرًا ومخالفًا للمستثنى منه، كما هو المألوف من هذا الأسلوب، وعندما يأتي المستثنى مؤَكِّدًا للمستثنَى منه وعلى خلاف ما كان يتوقع السامع، تكون المفاجأة والمباغتة التي تكسب المعنى طرافةً، وتثير في النفس تنبيهًا، وبهذا يتأكد المدح في أسلوب تأكيد المدح، ويتأكد الذم في أسلوب تأكيد الذم. (جامعة المدينة العالمية، ص435).

وهذان الأسلوبان يعملان على تنشيط للإدراك؛ لأنهما يشتملان على عنصري المفاجأة والمباغتة، فتأتي النتيجة فيهما غير متوقعة، وعلى خلاف ما تفيده المقدمات، وهذا ينبّه الذهن ويوقظه كما يعمل على نوع من التشويق والإثارة، ويدفع إلى التأمل والتدبر لكشف الحقيقة.

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

تحليل أنموذجات من القرآن الكريم:

في ضوء ما تقدم يمكننا تتبع المواضع القرآنية التي تحتضن هذا الأسلوب البديعي:

ففي قوله تعالى: **{قلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أنزِلَ مِن قَبْل وَأَنَّ أَكْثَرَكمْ فَاسِقون }** [سورة المائدة: 59] .

فيها أسلوب المدح بما يشبه الذم، وإنَّ الاستفهامَ في هذه الآية للإنكارِ وهو بمنزلة النفي، هَلْ **(تَنقِمونَ مِنَّا)** أبلغ في تقريع أهل الكتاب وتوبيخهم، وكأنَّ دعواهم زائفة لم تلقَ فهماً، والمؤمنون عنها معرضون و"الاستثناء – بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان – يُوهم أنَّ ما يأتي بعده مما يُوجب أن يُنقم على فاعله مما يُذم به، فلمَّا أتى بعد الاستثناء بما يُوجب مدح فاعله كان الكلام مُتضمنا تأكيد المدح بما يُشبه الذَّم". (السيوطي، 1974، 343/3). وعدّه ابن عاشور من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، قال ابن عاشور: "والذي يظهر لي أن يكون قوله: **(وَأَنَّ أَكْثَرَكمْ فَاسِقون)** معطوفاً على **(أن آمنَّا بالله)** على ما هو المتبادر، ويكون الكلام تهكماً، أي تنقمون منا أننا آمنا كإيمانكم وصدقنا رسلكم وكتبكم، وذلك نَقْمه عجيب وأننا آمنا بما أنزل إلينا وذلك لا يهمكم. وتنقمون منا أن أكثركم فاسقون، أي ونحن صالحون، أي هذا نَقْم حَسَد، أي ونحن لا نملك لكم أن تكونوا صالحين، فظهرت قرينة التهكم فصار في الاستفهام إنكار فتعَجُّب فتهكُّم، تولَّد بعضها عن بعض وكلها متولدة من استعمال الاستفهام في مجازاته..." (ابن عاشور، 1984، 245/6). يتناول الخطاب طرفين متقابلين هما المؤمنون وأهل الكتاب، فما قبل الاستثناء يُعدّ ذماً للطرف الثاني (أهل الكتاب)، ومدحاً ضمنياً للطرف الأول (المؤمنين) ذلك لتحملهم الأذى والصبر عليه وما بعد الاستثناء كان المدح واضحاً للطرف الأول، بقوله (**أنْ آمنَّا**) وهو متضمن الذم للطرف الثاني، وما يعمّق هذه الدلالة وجود الاستفهام الإنكاري التعجبي بقوله **(تَنقِمونَ مِنَّا)**، إذ يدلّ هذا الاستفهام على مدح المنتقم منهم، وذم المعارضين لهم. (العبيدي، ص451). فمسألة الإيمان ليست مستقرة في نفوس أهل الكتاب بدليل أنهم يكرهون من آمن بالله.

ومثله قوله تعالى: {وَمَا تَنقِم مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مسْلِمِين} [سورة الأعراف: 126]. أي "ما تعيب منّا إلا أصل المناقب والمفاخر كلّها وهو الإيمان بآيات الله عزّ وجلّ، وهذا ليس بعيب، فلا عيب يستوجب النقمة". (الزمخشري، 1989، 142/2).

نرى في الآية صفة ذم منفية استثنى منها صفة مدح، فقد قال سحرة فرعون لما آمنوا بموسى عليه السلام لفرعون ما تنكر منا، يا فرعون، وما تجد علينا، وما تعيب منا إلا من أجل أن آمنا، أي صدقنا بحجج ربنا وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد، سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض، فإن كان الإيمان بالله عيباً، وكون الإيمان عيباً مستحيل، فيكون ثبوت العيب منهم مستحيلاً.

ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ أخْرِجوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقولوا رَبُّنَا اللَّه وَلَوْلاَ دَفْع اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِع وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِد يذْكَر فِيهَا اسْم اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصرَنَّ اللَّه مَن يَنصره إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز} [سورة الحج: 40] .

هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، فقد أثبت صفة مدح للمهاجرين وهي أنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق، ثم أتى بعدها بأداة استثناء فأشعر ذلك أنه سيأتي بصفة ذم بعدها، ولكنّه وصفهم بأنهم مؤمنون بالله، فالإيمان موجب الإقرار والتمكين لا الإخراج وهذا من صفات الكمال، وفيه تأكيد فيكون مدحاً على مدح.

قال ابن عاشور: "الاستثناء في قوله: إلا أن يقولوا ربنا الله استثناء من عموم الحق، ولما كان المقصود من الحق حقا يوجب الإخراج، أي الحق عليهم، كان هذا الاستثناء مستعملا على طريقة الاستعارة التهكمية، أي إن كان عليهم حق فهو أن يقولوا ربنا الله، فيستفاد من ذلك تأكيد عدم الحق عليهم بسبب استقراء ما قد يتخيل أنه حق عليهم". (ابن عاشور، 17،1984/275).

ومنه قوله تعالى: "لاَ يَذوقونَ فِيهَا المَوْتَ إِلاَّ المَوْتَةَ الأولَى وَوَقَاهمْ عَذَابَ الْجَحِيم" [سورة الدخان 56] .

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

الاستثناء في قوله: (إلا الموتة الأولى) من تأكيد الشيء بما يشبه ضده فتكون بشارة لأهل الجنة بخلودهم فيها، إذ نفى عن أهل الجنة ذوق الموت لزيادة تحقيق انتفاء ذوق الموت عن أجل الجنة فكأنه قيل لا يذوقون الموت ألبتة وقرينة ذلك وصفها بالأولى. والمراد بـ (الأولى) السالفة، كما تقدَّم آنفا في قوله: إن هي إلا موتتنا الأولى [الدخان: 35]. (الزمخشري، 1989، 319/25).

ومنها قوله تعالى: {لا يَسْمَعون فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَماً} [سورة الواقعة: 25 – 26].

فيها فن رفيع وهو توكيد المدح بما يشبه الذم في هذه الآية ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يكون معناه إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة لغوا فلا يسمعون لغواً إلا ذلك.

الوجه الثاني: إنهم لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة وهذا يتعين فيه الاستثناء المنقطع.

الوجه الثالث: أن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة وهي دار السلامة وأهلها أغنياء عن الدعاء بالسلامة، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام، ففي الوجه الأول والثالث يتعين الاتصال في الاستثناء، أما الأول فلجعل ذلك لغوا على سبيل التجوز أو الفرض، وأما الثاني فواضح لأنّ فيه إطلاق اللغو على السلام، وأما الثالث: فلحمل الكلام على ظاهره من دون تجوز أو فرض

(الدرويش, 1995, 6/ 126).

Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi, Sayı: 4, 2020 Bahar,
ISSN: 2651-4605
Al Karaz, A. A. (2020). Te'kîdu'l-medh bimâ yuşbihu'z-zem ve te'kîdu'z-zem bimâ yuşbihu'l-medh. *Karatay Sosyal Araştırmalar Dergisi*, (4), 151-168.

الخاتمة

نخلص إلى أنّ الدلالات البديعية في القرآن الكريم هي التي تكشف مفهوم الخطاب القرآني، وأنّ تحليل الدلالات يفيد المختصين في البلاغة القرآنيّة، وفي تفسير القرآن الكريم؛ ولهذا الأسلوب أثر جمالي في البلاغة العربية شعراً ونثراً ويظهر أثره الدلالي في القرآن العظيم من خلال إيصال المعنى المراد والغرض المطلوب بأبهى صوره. وتساعد طالب العلم والتخصص على فهم أساليب القرآن الكريم المختلفة، ونخلص إلى أنّ لأسلوب المدح بما يشبه الذم وعكسه عدة تسميات منها: تأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، وتأكيد المدح بما يوهم الذم، وتأكيد الشيء بما يشبه ضده، والاستثناء، وبعض البلاغيين لا يفرقون بين تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه فيطلقونه على الحالتين. وأخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

المصادر والمراجع

1. ابن المعتز، عبد الله بن محمد. البديع في البديع. مح. عرفان مطرجي. ط.1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 2012.
2. ابن رشيق القيرواني، الحسن. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. مح. محمد محيي الدين عبد الحميد. ط5، دار الجيل، 1981.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية، 1984.
4. جامعة المدينة العالمية، البلاغة البيان البديع، ماليزيا: مطبوعات جامعة المدينة العالمية، (د.ت).
5. الجعدي. ديوان النابغة. مح. عبدالعزيز رباح ، ط.1، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٦٤.
6. الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن. حلية المحاضرة في صناعة الشعر. مح. الدكتور جعفر الكتاني. بغداد: دار الرشيد للنشر، 1979.
7. حبنّكة، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي. البلاغة العربية. ط.1، دمشق: دار القلم، 1996.
8. الدرويش، محي الدين. إعراب القرآن وبيانه. ط.4، دمشق: دار اليمامة، 1995.
9. الذبياني، زياد بن معاوية. ديوان النّابغة الذبياني. مح. الدكتور شكري فيصل. (د. ط)، دمشق: دار الفكر، 1968.
10. الرقيات، عبيد الله بن قيس. ديوان عبيد الله بن قيس. مح. الدكتورة عزيزة فوال بايتي. ط.1، بيروت: دار الجيل، 1995.
11. الزمخشري، محمود بن عمرو. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1987.
12. السَّكّاكِي، يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم. مح. نعيم زرزور. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987.
13. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. مح. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط.1، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.
14. العبيدي، حسن حماد. العراق: مجلة جامعة الأنبار– العدد العاشر، (د.ت).
15. العجلوني، إسماعيل بن محمد. كشف الخفاء ومزيل الإلباس. مح. عبد الحميد بن أحمد هنداوي، ط.1، القاهرة: المكتبة العصرية، 2000.
16. العسكري، الحسن بن عبد الله العسكري. الصناعتين. مح. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العنصرية، 1999.

17. القزويني، أحمد بن فارس القزويني. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.
18. القيرواني، إبراهيم بن علي. زهر الآداب وثمر الألباب. بيروت: دار الجيل، (د.ت).
19. المستعصمي، محمد بن أيدمر. الدر الفريد وبيت القصيد. مح. الدكتور كامل سلمان الجبوري. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2015.
20. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: المكتبة العصرية، 1999.